الفائدة الثانية والعشرون:

بيان حال المؤمن، والمنافق المعرض عن وحي الله تعالى

الحمد لله، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، أَمَّا بَعْدُ:

وصف الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين، بقوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال:٢].

ووصف الله عَزَّوَجَلَّ المنافقين بقوله: {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} [محمد:١٦].

وجمع الله عَزَّوَجَلَّ بين الوصفين بقوله: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة:١٢٤-١٢٥].

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ في وصفهم أيضًا: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ} [التوبة:١٢٧].

* من هذه الآيات يظهر الفرق الواسع، والبَوْن الشاسع بين المؤمن وغيره، وأن المؤمن يتقبل ما أوحاه الله عَزَّوَجَلَّ إلى رسوله ﷺ، وحاله ما قال الله عَزَّوَجَلَّ عن المؤمنين: {وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة:٢٨٥].

* **أما الصنف الثاني** فهو رادٌ لكل ما جاء عن الله عَزَّوَجَلَّ إما بلسان الحال، وإما بلسان المقال، وإما بهما، كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن اليهود، وغيرهم بقوله: {قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا} [البقرة:٩٣].

قوله: {سَمِعْنَا}، يعني: ما أوحاه الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: {وَعَصَيْنَا}، أي: لم نلتزم شرع الله عَزَّوَجَلَّ.

ففرق عظيم بين {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}، و{سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا}، فهذا في طرف السعداء، وهذا في طرف الأشقياء، هذا حقق العبودية، وهذا حقق التمرد على الله عَزَّوَجَلَّ.

فيا أيها المسلم اجعل من نفسك مستجيبًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كل ما تسمع، القصور حاصل لدى كثير من الناس، لكن ليكن حالنا كما قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال:٢٤].

ومعنى الآية أن المؤمن إذا استجاب لأمر الله، ولأمر رسوله ﷺ، حصلت له الحياة، حياة القلب، وحياة الإيمان، الحياة الحقيقية.

وإذا لم تحصل منه هذه الاستجابة، حصل النقيض، حصل الإعراض، والقسوة، وكم نسمع في رمضان، وغير رمضان، من النصائح، والمواعظ، وما أظن أحدًا من المسلمين إلا في بعض المناطق النائية إلا وهو يسمع موعظة، وعلم، وتذكير، ودلالة على الهداية، وإرشاد إلى الخير.

ولكن العلة في قلة الاستجابة، صارت العبادة عندنا مواسم، في رمضان كل الناس يصلي، كل الناس يصوم، كثير من أصحاب المعاصي يتركون، ينتظرون ذهاب رمضان؛ إذا ذهب رمضان، عاد تارك الصلاة إلى تركه، وعاد المذنب

والمسرف على نفسه؛ إذن لم تكن العبادة لله عَزَّوَجَلَّ خالصة، كانت العبادة بالزمان، ما هكذا أُمِرَ المسلم.

المسلم مأمور بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ في جميع العام، مأمور بالاستجابة لأمر الله عَزَّوَجَلَّ في جميع العام، مأمور بامتثال سنة النبي ﷺ في جميع العام؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ أنزل القرآن، وأوحى السنة ليعمل بها حتى يأتي الإنسان اليقين، كما قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر:٩٩].

فلا تكن عبادتنا لله موسمية، نعم إن هناك أوقات أفضل من أوقات، وهناك هبات من رب العباد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يمتن على الناس بها من أجل تكفير ذنوبهم، والتجاوز عن سيئاتهم، ويكون فيها بلاغ لهم ونشاط؛ لكن ليس معنى ذلك أن تعود القهقرى قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» متفق عليه(١).

فإذا انتهى رمضان شرع الله صيام ستة أيام من شوال، كما قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**»(٢).

فإذا انتهى شوال، شرع الله عَزَّوَجَلَّ صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وشرع صيام يوم عرفة؛ تكفر السنة الماضية والآتية، وشرع صيام يوم عاشوراء؛ يكفر السنة الماضية، فعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ،**

(١) البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (١١٦٤) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»(١).

وهكذا في الصلوات جعلها الله عَزَّوَجَلَّ تتناوب في اليوم والليلة، تارة الفرض، وتارة النفل فلا تبخل على نفسك أيها المسلم بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، لاتكن من الذين قالوا: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ} [التوبة:١٢٧].

هذه الأيام صفدت الشياطين، وحصل لك الإيمان فاستمر على هذه الدفعة، استمر وواصل، صليت في المسجد لازم المسجد، ما هو آخر ليلة في رمضان ما تأتي المسجد حيل بينك وبين الطاعة، هذا من علامة عدم قبول العمل، فمن علامة عدم قبول العمل أن ينقطع العبد عن العمل، ومن علامة قبول العمل أن العمل الصالح يجر إلى عمل آخر.

ولهذا ذكر بعض أهل العلم في علامة الحج المبرور، قالوا: أن يستمر العبد على الطاعة بعد الحج.

هذا هو الذي أمرنا الله به، وشرعه الله، لنا فلنستفد من هذه المواسم بمضاعفة الجهود، والأجور المترتبة على ذلك، وزيادة الإيمان، فإذا خرج الموسم لا أقل أن تبقى على الواجب، كما قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فيما يرويه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي، فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَقَدْ هَلَكَ**»(٢). والحمد لله.

(١) أخرجه مسلم (١١٦٢).
(٢) أخرجه أحمد (٦٧٦٤).